**المحاضرة 6: الحداثة الشعرية2:**

## تحليل قصيدة " بلقيس" للشاعر نزار قباني

**تعريف الشاعر نزار قباني:**

**نزار بن توفيق القباني** ( 1342 – 1419 هـ 1923 - 1998/ م( دبلوماسي وشاعر سوري معاصر، ولد في 21 مارس 1923 من أسرة عربية دمشقية عريقة. إذ يعتبر جده أبو خليل القباني من رائدي المسرح العربي. درس الحقوق في الجامعة السورية وفور تخرجه منها عام 1945 انخرط في السلك الدبلوماسي متنقلًا بين عواصم مختلفة حتى قدّم استقالته عام 1966؛ أصدر أولى دواوينه عام 1944 بعنوان "قالت لي السمراء" وتابع عملية التأليف والنشر التي بلغت خلال نصف قرن 35 ديوانًا أبرزها "طفولة نهد" و"الرسم بالكلمات"، وقد أسس دار نشر لأعماله في بيروت باسم "منشورات نزار قباني" وكان لدمشق وبيروت حيِّزٌ خاصٌّ في أشعاره لعلَّ أبرزهما "القصيدة الدمشقية" و"يا ست الدنيا يا بيروت". أحدثت حرب 1967 والتي أسماها العرب "النكسة" مفترقًا حاسمًا في تجربته الشعرية والأدبية، إذ أخرجته من نمطه التقليدي بوصفه "شاعر الحب والمرأة" لتدخله معترك السياسة، وقد أثارت قصيدته "هوامش على دفتر النكسة" عاصفة في الوطن العربي وصلت إلى حد منع أشعاره في وسائل الإعلام.

على الصعيد الشخصي، عرف قبّاني مآسي عديدة في حياته، منها مقتل زوجته بلقيس خلال تفجيرٍ انتحاري استهدف السفارة العراقية في بيروت حيث كانت تعمل، وصولًا إلى وفاة ابنه توفيق الذي رثاه في قصيدته "الأمير الخرافي توفيق قباني".

عاش السنوات الأخيرة من حياته مقيمًا في لندن حيث مال أكثر نحو الشعر السياسي ومن أشهر قصائده الأخيرة "متى يعلنون وفاة العرب؟"، وقد وافته المنية في 30 أفريل 1998 ودفن في مسقط رأسه، دمشق.

**قصيدة "بلقيس":**

**شَكَرَا لكَمْ**
**شُكْرَاً لَكُمْ**
**فحبيبتي قُتِلَتْ وصارَ بوسْعِكُم**
**أن تشربوا كأساً على قبرِ الشهيدة**
**وقصيدتي اغتيلت ..**
**وهَلْ من أُمَّةٍ في الأرضِ ..**
**- إلاَّ نحنُ - تغتالُ القصيدة ؟**
**بلقيسُ ...**
**كانتْ أجملَ المَلِكَاتِ في تاريخ بابِلْ**
**بلقيسُ ..**
**كانت أطولَ النَخْلاتِ في أرض العراقْ**

كانتْ إذا تمشي ..
ترافقُها طواويسٌ ..
وتتبعُها أيائِلْ ..
بلقيسُ .. يا وَجَعِي ..
ويا وَجَعَ القصيدةِ حين تلمَسُهَا الأناملْ
هل يا تُرى ..
من بعد شَعْرِكِ سوفَ ترتفعُ السنابلْ ؟
يا نَيْنَوَى الخضراء ..
يا غجريَّتي الشقراء ..
يا أمواجَ دجلةَ . .
تلبسُ في الربيعِ بساقِهِا
أحلى الخلاخِلْ ..
قتلوكِ يا بلقيسُ ..
أيَّةُ أُمَّةٍ عربيةٍ ..
تلكَ التي
تغتالُ أصواتَ البلابِلْ ؟
أين السَّمَوْأَلُ ؟
والمُهَلْهَلُ ؟
والغطاريفُ الأوائِلْ ؟
فقبائلٌ أَكَلَتْ قبائلْ ..
وثعالبٌ قتلتْ ثعالبْ ..
وعناكبٌ قتلتْ عناكبْ ..
قَسَماً بعينيكِ اللتينِ إليهما ..
تأوي ملايينُ الكواكبْ ..
سأقُولُ ، يا قَمَرِي ، عن العَرَبِ العجائبْ
فهل البطولةُ كِذْبَةٌ عربيةٌ ؟
أم مثلنا التاريخُ كاذبْ ؟.
بلقيسُ
لا تتغيَّبِي عنّي
فلنَّ الشمسَ بعدكِ
لا تُضيءُ على السواحِلْ . .
سأقول في التحقيق :

**إنَّ اللصَّ أصبحَ يرتدي ثوبَ المُقاتِلِ**
**وأقول في التحقيق :**
**إنَّ القائدَ الموهوبَ أصبحَ كالمُقَاوِلْ ..**
**وأقولُ :**
**إن حكايةَ الإشعاع ، أسخفُ نُكْتَةٍ قِيلَتْ ..**
**فنحنُ قبيلةٌ بين القبائِلْ**
**هذا هو التاريخُ . . يا بلقيسُ ..**
**كيف يُفَرِّقُ الإنسانُ ..**
**ما بين الحدائقِ والمزابلْ**
**بلقيسُ ..**
**أيَّتها الشهيدةُ .. والقصيدةُ ..**
**والمُطَهَّرَةُ النقيَّةْ ..**
**سبأٌ تفتِّشُ عن مَلِيكَتِهَا**
**فرُدِّي للجماهيرِ التحيَّةْ ..**
**يا أعظمَ المَلِكَاتِ ..**
**يا امرأةً تُجَسِّدُ كلَّ أمجادِ العصورِ السُومَرِيَّةْ**
**بلقيسُ ..**
**يا عصفورتي الأحلى ..**
**ويا أَيْقُونتي الأَغْلَى**
**ويا دَمْعَاً تناثرَ فوقَ خَدِّ المجدليَّةْ**
**أَتَرى ظَلَمْتُكِ إذْ نَقَلْتُكِ**
**ذاتَ يوم .. من ضفافِ الأعظميَّةْ**
**بيروتُ .. تقتُلُ كلَّ يوم واحداً مِنَّا ..**
**وتبحثُ كلَّ يوم عن ضَحيَّةْ**
**والموتُ .. في فِنْجَانِ قَهْوَتِنَا ..**
**وفي مفتاح شِقَّتِنَا ..**
**وفي أزهارِ شُرْفَتِنَا ..**
**وفي وَرَقِ الجرائدِ ..**
**والحروفِ الأبجديَّةْ ...**
**ها نحنُ .. يا بلقيسُ ..**
**ندخُلُ مرةً أُخرى لعصرِ الجاهليَّةْ ..**
**ها نحنُ ندخُلُ في التَوَحُّشِ ..**

والتخلف .. والبشاعةِ .. والوَضَاعةِ ..
ندخُلُ مرةً أُخرى .. عُصُورَ البربريَّةْ ..
حيثُ الكتابةُ رِحْلَةٌ
بينِ الشَّظيّة .. والشَّظيَّةْ
حيثُ اغتيالُ فراشةٍ في حقلِهَا ..
صارَ القضيَّةْ ..
هل تعرفونَ حبيبتي بلقيسَ ؟
فهي أهمُّ ما كَتَبُوهُ في كُتُبِ الغرامْ
كانتْ مزيجاً رائِعَاً
بين القَطِيفَةِ والرُّخَامْ ..
كان البَنَفْسَجُ بينَ عَيْنَيْهَا
ينامُ ولا ينامْ ..
بلقيسُ ..
يا عِطْرَاً بذاكرتي ..
ويا قبراً يسافرُ في الغمام ..
قتلوكِ ، في بيروتَ ، مثلَ أيِّ غزالةٍ
من بعدما .. قَتَلُوا الكلامْ ..
بلقيسُ ..
ليستْ هذهِ مرثيَّةً
لكنْ ..
على العَرَبِ السلامْ
بلقيسُ ..
مُشْتَاقُونَ .. مُشْتَاقُونَ .. مُشْتَاقُونَ ..
والبيتُ الصغيرُ ..
يُسائِلُ عن أميرته المعطَّرةِ الذُيُولْ
نُصْغِي إلى الأخبار .. والأخبارُ غامضةٌ
ولا تروي فُضُولْ ..
بلقيسُ ..
مذبوحونَ حتى العَظْم ..
والأولادُ لا يدرونَ ما يجري ..
ولا أدري أنا .. ماذا أقُولْ ؟
هل تقرعينَ البابَ بعد دقائقٍ ؟

**هل تخلعينَ المعطفَ الشَتَوِيَّ ؟**
**هل تأتينَ باسمةً ..**
**وناضرةً ..**
**ومُشْرِقَةً كأزهارِ الحُقُولْ ؟**
**بلقيسُ ..**
**إنَّ زُرُوعَكِ الخضراءَ ..**
**ما زالتْ على الحيطانِ باكيةً ..**
**وَوَجْهَكِ لم يزلْ مُتَنَقِّلاً ..**
**بينَ المرايا والستائرْ**
**حتى سجارتُكِ التي أشعلتِها**
**لم تنطفئْ ..**
**ودخانُهَا**
**ما زالَ يرفضُ أن يسافرْ**
**بلقيسُ ..**
**مطعونونَ .. مطعونونَ في الأعماقِ ..**
**والأحداقُ يسكنُها الذُهُولْ**
**بلقيسُ ..**
**كيف أخذتِ أيَّامي .. وأحلامي ..**
**وألغيتِ الحدائقَ والفُصُولْ ..**
**يا زوجتي ..**
**وحبيبتي .. وقصيدتي .. وضياءَ عيني ..**
**قد كنتِ عصفوري الجميلَ ..**
**فكيف هربتِ يا بلقيسُ منّي ؟..**
**بلقيسُ ..**
**هذا موعدُ الشَاي العراقيِّ المُعَطَّرِ ..**
**والمُعَتَّق كالسُلافَةْ ..**
**فَمَنِ الذي سيوزِّع الأقداحَ .. أيّتها الزُرافَةْ ؟**
**ومَنِ الذي نَقَلَ الفراتَ لِبَيتنا ..**
**وورودَ دَجْلَةَ والرَّصَافَةْ ؟**
**بلقيسُ ..**
**إنَّ الحُزْنَ يثقُبُنِي ..**
**وبيروتُ التي قَتَلَتْكِ .. لا تدري جريمتَها**

**وبيروتَ التي عَشقَتْكِ ..**
**تجهلُ أنّها قَتَلَتْ عشيقتَها ..**
**وأطفأتِ القَمَرْ ..**
**بلقيسُ ..**
**يا بلقيسُ ..**
**يا بلقيسُ**
**كلُّ غمامةٍ تبكي عليكِ ..**
**فَمَنْ تُرى يبكي عليًّا ..**
**بلقيسُ .. كيف رَحَلْتِ صامتةً**
**ولم تَضَعي يديكِ .. على يَدَيًّا ؟**
**بلقيسُ ..**
**كيفَ تركتِنا في الريح ..**
**نرجِفُ مثلَ أوراق الشَّجَرْ ؟**
**وتركتِنا - نحنُ الثلاثةَ - ضائعينَ**
**كريشةٍ تحتَ المَطَرْ ..**
**أتُرَاكِ ما فَكَّرْتِ بي ؟**
**وأنا الذي يحتاجُ حبَّكِ .. مثلَ (زينبَ) أو (عُمَرْ)**
**بلقيسُ ..**
**يا كَنْزَاً خُرَافيًّا ..**
**ويا رُمْحَاً عِرَاقيًّا ..**
**وغابَةَ خَيْزُرَانْ ..**
**يا مَنْ تحدَّيتِ النجُومَ ترفُّعاً ..**
**مِنْ أينَ جئتِ بكلِّ هذا العُنْفُوانْ ؟**
**بلقيسُ ..**
**أيتها الصديقةُ .. والرفيقةُ ..**
**والرقيقةُ مثلَ زَهْرةِ أُقْحُوَانْ ..;**
**ضاقتْ بنا بيروتُ .. ضاقَ البحرُ ..**
**ضاقَ بنا المكانْ ..**
**بلقيسُ : ما أنتِ التي تَتَكَرَّرِينَ ..**
**فما لبلقيسَ اثْنَتَانْ**

قد آمن نزار قباني بأن الشاعر العربي بحاجة ماسّة إلى نجم يلمع في سمائه ليكتب شعره، وقد يكون من الأمثلة التقريبية لهذا النجم، سطوع نجم أطفال الحجارة في شعره، هؤلاء الذين «رفسوا طاولة المفاوضات وعقدوا

مؤتمرا حول بحيرة من دمهم» على حد تعبيره، فمنذ أطفال الحجارة أصبح بالإمكان القول: هذا شعر ولد قبل أطفال الحجارة، وهذا شعر ولد بعد أطفال الحجارة، تماما كما نقول: هذا شعر نزار قباني قبل النكسة، وهذا شعره بعد النكسة.

ولأن واقع الأرض العربية بكل ما مرّ عليها من الزلازل السياسية كان مرجعية نزار الأولى، فقد مارس بشعره الهجائي عملية تجريف واسعة لهذه الأرض الخربة بما حوته من الركام، فتراجعت كل الكلمات في شعره إلا الكلمة القاسية والممعنة في كشف الخيانة، ومن هنا كان الرمز في شعر نزار قباني بمثابة إمعان في التثريب على الخائنين دائما وعلى خصومه الوطنيين أحيانا.

الحزن عند نزار قباني هو ميراث الشاعر العربي القومي ، وقد طبع الحزن وجدان العربي فبات حبه حزينا، ووصاله حزينا، وموته حزينا، وفي أعماقه حزنٌ يمتدّ ألف عام، ونجد قصيدة بلقيس واحدة من القصائد التي تسطّر حزنا ثخينّا ملتفّا، فهو إذ يعبر عن حزنه الخاص بفقد بلقيس، قد اتفق له أن يقع على رمزه الرئيسي (بلقيس) عرضا، إذا كانت علاقة بلقيس العراقية بالعراق هي علاقة عين الماء بالماء الذي ما إن يخرج منها حتى يصير كل مكان موطنه، فإنّ علاقة بلقيس بالتاريخ أيضا واضحة المعالم، إذ تشير إلى ملكة سبأ التي أسلمت مع سليمان لله رب العالمين، ومن أجل هاتين العلتين جاز لهذا الاسم أن يكون رمزا لبلد العراق بوصفها ملكة البلدان (بلقيس كانت أجمل الملكات في تاريخ بابل)، وبوصفها الأرض الرشيدة المرشدة عبر التاريخ (كانت إذا تمشي ترافقها طواويس وتتبعها أيائل). فخارطة العراق عنده خارطة حزن عتيقة، والحزن مرتعه هناك!

لا حاجة للقول أنّ التسلل إلى خيال الشاعر وحده أفضى للقول بأنّ (بلقيس) هذه المرة تشرب أنهار العراق، إذ يتكفل السياق الشعري بفرض رمزه الذي يفسر محتواه وإشاراته، وتعليل القول بتمكّن الرمز هنا أبعد ما يكون عن التعلل (بالشاي العراقي والفرات ودجلة والرصافة)، ولكنه تعلل بكنه القاتل الذي لم يدرك المقتول، فهو قتلٌ يتضمن أقصى حدود المآمرة وأبشع طرائقها، إذ كيف يتّفق قتل المعشوق بقوة كفّ العاشق دون أن يدري، وإذا لم تتفق هذه التداخلات الشعرية مع التداخلات السياسة التي زامنت عصر الشاعر. فهل من تبرير لاستحضار العصر الشعوبي والمجوسي الجبان إلى السياق الشعري الذي يجري من تحت مفاهيم مستدعاة من حقب الماضي التاريخية، لتسقط رمزيّا في شعر هذا الزمان؟.

ربّما عدّ الشاعر مقتل زوجته في هذا التفجير، فعلا قصدت به مقروئية شعره التي تقدح رؤوس بائعي الأوطان والمتخاذلين (وهل من أمّة في الأرض إلا نحن نغتال القصيدة)، ولطالما كانت الكتابة عنده مخاطرة ومواجهة، (حيث الكتابة رحلة بين الشظية والشظية)، ثم يعود ليؤكد ذلك في نهاية القصيدة.